

# الرحلات والأسفار

## عالم الأسفار والأسرار

يُقَالُ: «مَنْ سَافَرَ، عَاشَ أَلْفَ حَيَاةٍ». فَالسَّفَرُ لَيْسَ مُتَعَةً لِلْعَيْنِ فَقَطْ، بَلْ هُوَ غِذَاءٌ لِلْعَقْلِ وَالرُّوحِ. عِنْدَمَا نُسَافِرُ نَكْتَشِفُ عَوَالِمَ وَلُغَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَنَتَعَلَّمُ عَادَاتِ النَّاسِ، وَنَرَى مَنَاطِرَ لَمْ نَكُنْ نَتَصَوَّرُهَا.

فَمَنْ يَزُرُ صَحْرَاءَ الطَّاسِيلِي يَنْبَهَرُ بِلُوحَاتِهَا الصَّخْرِيَّةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى أَلْفِ السِّنِينَ، وَمَنْ يَقْصِدُ تَيْمَقَادَ أَوْ جَمِيلَةَ يَعْشُ لَحْظَةً مَعَ التَّارِيخِ الرَّومَانِيِّ. وَفِي الْقَرْىِ الْجَبَلِيَّةِ لِلْقَبَائِلِ أَوْ الْأُورَاسِ يَجِدُ الزَّائِرُ عَادَاتٍ ضَارِبَةً فِي الْجُدُورِ. أَمَّا مَنْ يَذْهَبُ إِلَى شَوَاطِي جِيْجِلَ أَوْ سَوَاحِلِ وَهْرَانْ، فَيَتَذَوَّقُ جَمَالَ الْبَحْرِ الْأَزْرَقِ، وَصَفَاءَ نَسِيمِهِ،

أَمَّا الْمُسَافِرُ إِلَى أَقْطَارِ أَبْعَدَ فَيَجِدُ عَجَائِبَ تَسْلُبُ الْعُقُولَ: الْأَهْرَامَاتُ فِي مِصْرَ، سُورُ الصِّينِ الْعَظِيمِ، شَلَالَاتُ نِيَاغَارَا الْمَدْهَشَةِ، بُرْجُ إِيْفَلْ السَّاحِرِ فِي فَرَنْسَا، وَفِي الْمَغْرِبِ تُبْهَرُ مَدِينَةُ فَاسِ الْعَتِيقَةُ وَأَسْوَاقُ مَرَآكُشِ الزَّائِرِ، بَيْنَمَا فِي تُرْكِيَا تَسْحَرُ إِسْطَنْبُولُ بِمَسَاجِدِهَا وَجُسُورِهَا الْقُلُوبَ قَبْلَ الْأَعْيُنِ.

وَلَوْلَا جُرْأَةُ الرَّحَّالَةِ وَالْمُسْتَكْشِفِينَ لَمَا عَرَفْنَا كُلَّ ذَلِكَ. فَقَدْ اكْتَشَفَ كُريْسْتُوفُ كُولُومْبُسُ وَأَمْرِيكُو فِسْبُونُشِي قَارَةَ أَمْرِيكَا، وَجَابَ ابْنُ بَطُوطَةَ الدُّنْيَا مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْهِنْدِ وَالصِّينِ، وَكَتَبَ رِحْلَاتِهِ فَصَارَتْ مَرْجَعًا لِلْأَجْيَالِ. وَقَدْ تَبِعَهُ رُحَالَةٌ آخَرُونَ مِثْلُ مَاْجِيلَانِ الَّذِي دَارَ حَوْلَ الْعَالَمِ.

فَالسَّفَرُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُتَعَةِ مَعًا، يُقَوِّي فُضُولَنَا وَيُوسِّعُ أَفْقَنَا وَيَفْتَحُ أَمَامَنَا نَوَافِدَ عَلَى الْحَضَارَاتِ. وَمَنْ لَمْ تَسْعِفْهُ الْفُرْصَةُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْقِرَاءَةَ وَالْأَفْلَامَ وَالْقَصَصَ تَحْمِلُهُ هِيَ أَيْضًا فِي رِحْلَةٍ عَجِيبَةٍ بِلَا تَذْكَرَةٍ وَلَا حَقِيبَةٍ! فَكُلُّ رِحْلَةٍ، حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ فِي خَيَالِنَا، تَجْعَلُنَا نَكْتَسِبُ عُمْرًا جَدِيدًا.